



معلومات البحث

تاريخ الاستلام: 12-09-2025

تاريخ القبول: 24-11-2025

Printed ISSN: 2352-989X

Online ISSN: 2602-6856

إشكالات منهجية لدى طلاب سنوات التخرج علم الاجتماع

*Methodological problems faced by
sociology graduate students*

لكحل خيرة

جامعة زيان عاشور الجلفة

Khiera.lakehal@gmail.com

ملخص :

يعاني طلاب سنوات التخرج في علم الاجتماع من مجموعة من المشاكل المنهجية للقيام ببحث نهاية مرحلة التدرج ، هاته المشاكل التي تعترض الطالب و الأستاذ معا ، و هي نتاج للعديد من العوامل التي تضافرت لتخلق ذلك العجز في السير بطرق سلسلة و مرنة في خطوات البحث العلمي و في هذا المقال تعرضنا لهاته العوامل بتسلسل يستعرض بعضها من هاته العراقيل .

الكلمات المفتاحية :

منهجية ، بحث علمي ، عراقيل منهجية ، إبستمولوجيا ، ظاهرة اجتماعية .

Summary:

Graduate sociology students face a number of methodological challenges when conducting their final year research. These challenges confront both students and professors, and are the result of a multitude of factors that combine to create an inability to proceed smoothly and flexibly through the steps of scientific research .

In this article, we address these factors in a sequential manner, reviewing some of these obstacles.

Keywords:

Methodology, scientific research, methodological obstacles, epistemology, social phenomenon.

مقدمة :

كثيرا ما يواجه الطالب و الأستاذ معا الكثير من العراقيل المنهجية أثناء إعداد مذكرة التخرج لسنة ثانية ماستر . هذه العراقيل التي تأتي بالدرجة الأولى بسبب جهل الطالب للكثير من الخطوات البحث العلمي التي يجب أن يعتمدها بشكل صحيح و مسار علمي دقيق حتى يعطي كل خطوة حقها . و بذلك تعود عليه بالنفع العلمي الذي وُجدت من أجله. في هذا المقال نحاول التعرف على أهم العراقيل المعرفية و التطبيقية التي تعترض الطالب ؟ و ماهي أسبابها ؟ و كيف يمكن تجنبها؟ و بعد لعقد من الزمن من تدريس مقياس المنهجية للسنوات النهائية ك السنة الثالثة علم الاجتماع و سنة ثانية ماستر بمختلف تخصصات علم الاجتماع المتاحة في جامعتنا . و نتيجة لسنوات من الاشراف على طلاب أثناء انجازهم لمذكرات التخرج التي تعري إمكانات الطالب أمام الأستاذ المشرف . فإني التمسست عند الكثير من الطلبة و نحن نتكلم هنا بلغة الوصف لا التعميم جهلهم لكثير من الخطوات المنهجية التي تسمح لهم بالبدئ في مذكراتهم أو بحوثهم الاجتماعية و إتمامها بشكل صحيح . و في هذا المقام سنحاول التطرق لأهم الأسباب التي خلقت عراقيل و أزمة منهجية لدى طلاب سنوات التخرج .

1. التكوين المنهجي للطلاب في ظل نظام lmd:

يواجه الطالب صعوبة بالغة في التطبيق العملي للخطوات المنهجية لانجاز بحث نهاية التخرج ، بالإضافة إلى الخلط بينها و صعوبة في الانتقال من مرحلة إلى أخرى ، و عراقيل التي يتعرض لها أسبابها لا تتعلق بالطالب وحده . بل هناك العديد من الأسباب و العوائق البيداغوجية المتعلقة ب مقياس المنهجية في حد ذاته، و أخرى تتعلق بطريقة تناول الأستاذ لهذا المقياس . و طرحها للطلبة بطرق تمكنهم من معرفة خطوات البحث العلمي التي تطبق على الظاهرة كما يقول غاستون باشلار " الواقعة العلمية تُغزى، و تُبنى ، و تُعائن " . و تترجم إلى مسار و مراحل يعمل الطالب على (ريمون كيفي لوك فان كمبنهود، 1997، صفحة 28) تطبيقها بشكل سلس على الأقل ك دراية بالخطوات .

مقياس المنهجية تتغير أسماؤه بتغير الفصل الدراسي الذي يتدرج فيه الطالب . من مدارس و مناهج في السنة الأولى جذع مشترك للعلوم الاجتماعية يتناول فيها الطالب الاستمولوجيا، الاستمولوجيا ذلك المصطلح العقدة في ذهن الكثير من الطلبة . مصطلح قد يتخرج الطالب من الجامعة وهو لا يدرك معناه الحقيقي و عمق تصوره ك مفهوم مهم جدا في البحث العلمي . هذا فيما يتعلق بالشق البيداغوجي المكون لمقياس المنهجية.

و هناك شق آخر يقع على عاتق الأستاذ . هناك حقيقة يدركها كل الفاعلين ضمن النسق الاجتماعي التعليمي في علم الاجتماع ، و بعد استطلاع للرأي لمجموعة من رؤساء الأقسام اللذين تعاقبوا على رئاسة قسم علم الاجتماع أن المادة الأكثر طلبا في التدريس من طرف الأساتذة هي المنهجية . تحت سبب و ذريعة أنها مقياس سهل التدريس و لا يحتاج الكثير من التحضير و كأن تدريس المنهجية في تخصص علم الاجتماع على الأقل هي صنعة من لا صنعة له.

و مقياس المنهجية حتى يفهم بشكل و يستساغ لدى الطلبة يحتاج الى تدريس تطبيقي يبدأ من أول خطوة و هي المتمثلة في كيفية اختيار ظاهرة الدراسة وصولا للخاتمة تطبيقا مباشرا فرديا يعتمد فيه الطالب على قدراته الفردية و مراقبة الأستاذ، يتعرف فيها الطالب على أخطائه بشكل ملموس من خلال الأعمال التي يقوم بها رفقة زملاءه . و عن طريق المحاولة و الخطأ في عمل يتعرف فيه الطالب على الصبح من خلال أخطائه و أخطاء زملاءه.

يصل الكثير من الطلبة للسنوات النهائية قد يعرف تعريف الفرضية و الاشكالية وغيرها من المفاهيم المفتاحية في الخطوات المنهجية ، لكنه يجهل تماما كيف يمكنه صياغة سؤال إشكالية أو كيفية بناء فرضية و صياغتها بشكل صحيح للأسف .

يعتمد الكثير من الأساتذة على تدريس المنهجية على البحوث النظرية التي تعتمد على تعريفات و تحليل نظري لخطوات البحث العلمي في شكل عروض في حصص الأعمال الموجهة . قد يصح هذا في السنتين الأولتين من التدريس لأن معرفة الشيء هو جزء من تصوره . و لكنه لا يصلح أبدا في السنوات النهائية فالطالب بحاجة لأن يمارس المنهجية لا أن يسمع عنها .

و الشق الثالث يقع على عاتق الطالب نفسه: و تنمة للأسباب السابقة . لا بد لنا من إلقاء الضوء على دور الطالب في هذه المعضلة و هي أولا و بادءا ذي بدء يصل إلينا الطالب في السنوات النهائية وهو لم يقرأ كتابا كاملا في المنهجية و هو لم يسعى يوما للبحث عن رسائل و بحوث و دراسات للإطلاع عليها . يأتي إلينا وهو لم يحضر على الأقل مناقشة واحدة للطلبة قبله حتى يطلع و يستفيد . و نحن في هذا المقام لا نعمم و لكن نتكلم عن الكثرة الكثيرة .

ففي مرحلة الإشراف الأستاذ يعاني مع الطالب و الطالب يعاني مع الأستاذ لأنه لا توجد مساحة مشتركة لمستوى التفاهم. و هنا يحدث أمر من الاثنين إما الأستاذ يحمل على عاتقه مسؤولية تكون أكبر من مجرد التوجيه بل يقف على كل تفصيلة و قد يقوم ببعض الأعمال نيابة عن الطلبة ك صياغة أسئلة الاشكالية و الفرضيات وبناء نموذج التحليل . و تحديد مجتمع البحث و العينة و بناء أداة جمع البيانات و الربط بين المؤشرات ..إما أن تخرج المذكرة في حالة بائسة غير قابلة للمناقشة ..أو يلجأ الطالب لسرقة رسالة أخرى و تقديمها للمناقشة . سنحاول في هذا المقال الحديث عن أهم العراقيل التي يقع فيها الطلبة في كل مراحل إعداد رسالة التخرج خاصة المقبلين عليها أول مرة .

2. إختيار موضوع البحث :

أول ما يقع فيه الطالب هو مشكلة اختيار موضوع التخرج ؟ و لكن هنا نطرح سؤال هل نختار عنوان ؟ أم نختار ظاهرة ؟ و ماهي الظاهرة من وجه نظر الطلبة ؟ نظرا لجهل الطالب بمرحلة القطع التي تعتبر مهمة جدا في البحث العلمي ك مرحلتي اول لتحويل الظاهرة إلى موضوع دراسة . ف في سنة التخرج يجأ الطالب إلى اختيار عنوان كامل متكامل من متغيرين مباشرة و يلجأ في ذلك إلى الشبكة العنكبوتية حتى تقترح عليه مجموعة من العناوين في تخصصه ليحضرها في قصاصة إلى أستاذه المشرف ، أو يأتي مباشرة للأستاذ و يطلب منه أن يقترح عليه مجموعة من العناوين متناسيا أن رغبة

الباحث في اختيار موضوع الدراسة مهمة جدا . ناهيك على أن بعض المشرفين يفرضون مواضيع بحثية على الطلبة الباحثين بما يتوافق مع اهتمامات الأستاذ المشرف و المواضيع التي هي ضمن اتجاهاته البحثية متناسيا و متجاهلا رأي و رغبة الباحث في هذا الموضوع .

حسنا ماهي فكرة الطالب عن الظاهرة ؟ في الكثير من الاستفتاءات التي نقوم بها في بداية كل موسم دراسي لطلبة السنة الثالثة علم الاجتماع ب سؤال ماهي الظاهرة الاجتماعية ؟ و هاتِ ظاهرة اجتماعية ؟ كل الظواهر التي يعمل الطلبة على اقتراحها هي عبارة عن مشاكل اجتماعية و في كل سنة اسمع نفس الاقتراحات : الطلاق ، الهجرة ، التسول ، المخدرات ، التسرب المدرسي، .. إلخ ؟ يتمثل للطلاب أن الظاهرة الاجتماعية هي بالضرورة مشكلة اجتماعية و لا يدرك أن كل مشكلة اجتماعية هي بالضرورة ظاهرة و ليس كل ظاهرة هي مشكلة اجتماعية . و هذه المعلومة على الطالب أن يتعرف عليها في سنوات مبكرة من الدراسة حتى لا يقع في هذا الفخ و يعمل على اختيار ظاهرة اجتماعية من مصادرها المتاحة ك التجارب المعاشة و ملاحظة المحيط و دراسات سابقة أو من نقاش مع المشرف أو زملاء و الرغبة في أن يكون البحث مفيدا و احترام شروط قابلية الانجاز (أنجرس، 2006، صفحة 122) . و حتى يعمل على اختيار ظاهرة يُخضعها لمراحل البحث العلمي و ليس اختيار عنوان مباشر . حتى و إن عملية اختيار عنوان مباشر ليس خطأ .

نوه للطلبة ضرورة الابتعاد عن تفخيم المفاهيم اعتقادا منهم أن أهمية الموضوع و عمقه تزيد كلما كانت مفاهيمه كبيرة ومبهرة و فخمة و هذا اعتقاد خاطئ تماما . فالكثير من المواضيع مفاهيمها و متغيراتها بسيطة جدا و لكنها ذات أهمية كبرى .

جودة البحث و فخامته و عمقه تكمن رأسا في طريقة التناول و طريقة الطرح و السير المنهجي السليم . و نعيد و نكرر قيمة السؤال من قيمة طارحه و ليس العكس .

3. أزمة القراءة لدى الطالب :

ماهو منتشر بين الطلبة للأسف و ما أثبتته الدراسات هو عزوف الطلبة عن القراءة و المطالعة عموما . و عزوفهم عن المطالعة المتخصصة أكثر و أكثر . و هذه الأزمة في القراءة خلقت فقر مصطلحي لدى الطلبة و ذلك من ناحية الثراء المفاهيمي في مجال التخصص الذي يسبب له عجز عن التعبير عن أفكاره بلغة علمية متخصصة ، فلا يُعرف العلم إلا من خلال مصطلحه . ناهيك عن جهل الطالب بالكلية لضرورة القراءة التي تقع ضمن المرحلة الاستكشافية التي تقع ضمن المرحلة الأولى من البحث العلمي و هي مرحلة القطيعة و التي تكون على علاقة وطيدة بالدراسة الاستطلاعية أو ملاحظة الميدان، و التي بدورها تأتي بعد سؤال الانطلاق كل هاته المراحل هي مراحل إجرائية ضرورية للقطيعة الاستمولوجية لظاهرة الدراسة، القطيعة مع ماهو عامي و مع الأحكام مسبقة ، للخوض في دراسة الظاهرة دراسة علمية مبنية على منهج دقيق و خطوات علمية ممنهجة.

بل الكثير من الطلبة يعتقد أن الاشكالية هي أول مرحلة في البحث العلمي بعد اختيار العنوان الذي هو في الأصل لم يكن ظاهرة قابلة للتطور إلى موضوع بحث . وكل ما يعمل عليه هو أن يضيف على العنوان أداة استفهام في أوله وعلامة استفهام في آخره ليقتنع تماما أنه قام بصياغة سؤال الاشكالية الذي يطلق عليه رأسا اسم إشكالية .

فالقراءة التي تكون في المرحلة الاستكشافية مهمة و مهمة جدا لما يعرف بالعصف الذهني و الخروج من مرحلة التيه التي تصيب الباحث بعد اختيار عنوان الدراسة أو ظاهرة الدراسة لأنه بالقراءة المتخصصة للدراسات السابقة و أدبيات الدراسة و محاولة الاتصال بميدان الدراسة لبناء رؤية جديدة التي قد تخلق لك موضوع مختلف تماما عن الذي انطلقت منه في البداية.

و لا يدرك الباحث أنه القراءات أثناء عملية البحث تقع على نوعين أو مرحلتين أساسيتين أولها ما يعرف ب القراءات الأولية و التي تقع ضمن الإمام بالموضوع و اكتشافه و التوسع فيه ضمن مرحلة القطع . ثم يتعرض مرحلة أخرى أكثر عمقا تتطلب قراءات معمقة متخصصة في نقطة معينة . التي اعتمدها الباحث في دراسته دون غيرها . ليتخصص و يتوسع فيما تخصص .

أو قد يقع الباحث في خطأ معاكس تماما لشح القراءة وهو النهم الكتي أو الاحصائي و يتركز هذا النهم كما يدل اسمه على " حشو الجمجمة" (رمون كيني لوك فان كمبنهود، 1997، صفحة 24) بكمية كبيرة من الكتب و المقالات أو المعطيات الرقيقة أملا في أن يجد فيها ما يبحث عنه. وهنا قد يضيع الكثير و الكثير من الوقت وهو يبحث في فراغ و دون الوصول إلى نتيجة مهمة و يبقى في حالة من الدوران و التيهان الغير مجدي و في كثير من الأحيان يخرج بغير نتيجة وهذا أيضا يدل على البدايات السيئة و جهل بطرق القراءة الاستطلاعية الصحيحة.

4.الإمبريقي و المجرد :

الامبريقي هو الملموس و هو في دراسات علم الاجتماع ميدان الدراسة الذي تتوفر فيه ظاهرة الدراسة ، و بين المجرد هو العملية التي تتم في ذهن الباحث لبناء الموضوع و ترتيب الأفكار و مقارنتها مع بعضها البعض و اخراجها في قالب يتماشى مع المرحلة المنهجية التي تقع ضمنها هذه السياقات . ما يقع فيه الطالب الباحث في هذه المرحلة هو تجاهل الاتصال بميدان الدراسة و تجاهل الملاحظة و العيش مع موضوع الدراسة على مستوى المجرد و الذهني فقط . دون أن تكون له علاقة مباشرة مع الميدان اعتقادا منه أنه جانبي الدراسة النظري و الميداني منفصلين عن بعضها البعض.و يعتقد اعتقادا جازما أنه في المرحلة النظرية الطالب غير مطالب بزيارة الميدان إلى أن يصل إلى الجانب الميداني وهو الشق الثاني من الدراسة في البحث السوسيولوجي . في حين أن العلاقة بين الملموس و المجرد تبدأ من أول اختيار الظاهرة إلى غاية نهاية الدراسة . لأنه من الميدان تأتي بالفرضيات و بأبعاد ومؤشرات الدراسة و بالمفاهيم الاجرائية للدراسة التي تكون من وحي محاكاة الواقع وهذه كلها تكون في بداية الدراسة .و في بعض الأحيان الطالب الباحث لا يقرأ حول الموضوع و لا يحتك بميدان الدراسة و يبقى يحاول فاشلا صياغة فرضيات و مفاهيم و فصول نظرية دون

أن تكون هناك مدخلات جديدة حتى يكون هناك مخرجات. ليختار الظاهرة و يتوجه رأسها لسؤال الاشكالية مروراً إلى الفرضيات و يسعى أن يصيغ كل ذلك من وحي ذهنه و فقط. لذا يجب أن يسعى و يحرص الأستاذ المشرف إلى توجيه الطالب للقراءة المتخصصة حول الظاهرة المراد دراستها ثم محاولة القيام بدراسة استطلاعية لميدان الدراسة حتى يتمكن من الحصول على معلومات أكثر من خلالها يفتك الموضوع سوسيولوجيا .

5. الفرضيات :

مشكلة الطالب التي لا يدرك أنها مشكلة تكمن في الفرضيات . هل الفرضية تُبنى أم تصاغ ؟ و كيف تبني الفرضية هل تبني بطريقة استقرائية أم استنباطية؟ و ماهي علاقة الفرضية بالمرحلة لاستكشافية و التي تقع ضمن مرحلة القطع ؟ و ماهي أكثر صيغة خاطئة للفرضية و لكنها منتشرة بكثرة ؟

كل هذه الأسئلة هي عبارة عن مأزق يقع فيه الطالب الباحث أثناء بحثه و لكنه لا يدركها . جرت العادة أن الفرضية تندرج بعد الاشكالية كإجابة على أسئلتها لذا الطالب الباحث يعتقد يقينا أن الفرضيات تأتي بعد الاشكالية إجرائيا و منهجيا ولكن هذا أمر قد يكون غير صحيح في بعض الأحيان . إذ يستطيع الباحث أن يلتقي بفرضيات بحثه أثناء مرحلة القطع في مرحلة القراءة و الدراسة الاستطلاعية فيجد إجابة على أسئلة لم يطرحها بعد لتتحول في ذهنه إلى أسئلة قد تعثر بفرضياتها بطريقة استقرائية ننتقل بها من المؤشر للبعد للمتغير . في كل متكامل بين القراءة المعمقة المتخصصة و ملاحظة الميدان و الدراسة الاستطلاعية في علاقة ذهاب و إياب .

6. مشكلة التعريف بالمفاهيم و ادراك فائدتها :

مما يندرج ضمن الإطار المنهجي للدراسة عنوان إسمه تحديد المفاهيم و الذي يعتبر قضية أساسية و له عمق كبير جدا أكبر من مجرد تعريف المفاهيم التي تظهر على مستوى العنوان و أسئلة الاشكالية والفرضيات . و التعريف هو جملة دالة على جوهر الشيء (غراويتس، 1993، صفحة 39) هاته التعريفات التي تقع على نوعين، تعريفات نسقية و يطلق على التعريف النسقي أيضا التعريف الإسمي، و تعريفات أخرى تسمى التعريفات الإجرائية و يطلق عليه أيضا التعريف الواقعي. التعريفات النسقية متعارف عليها أنها التعريفات التي تأتي بينها النظريات القبلية أو المنظرين أو ما وُجد في المؤلفات و الكتب و تقول عنها مادلين غراويتز أنها لا تضيف شيئا لمعرفنا و لكنه يمكن أن يساعد على تنميتها على الصعيد المنهجي . أما التعريفات الإجرائية هي تلك التي تأتي من تمثلات الباحث لهذا المفهوم ضمن إطار البحث وهنا تكمن الأهمية و هنا يكمن الخلل في حد ذاته . الكثير من الباحثين لا يدركون أن التعريفات الإجرائية هي انعكاس للمفهوم من خلال مؤشرات التي يستند إليها في دراسته . بمعنى ماذا ؟ بمعنى أن لهذا المفهوم تعريف عام يطلق عليه تعريف نسقي و تعريف خاص بالبحث يُصطلح عليه التعريف الاجرائي يكون مضبوط جدا من خلال مؤشرات الدراسة و كيفية قياس هذا المفهوم ، قد يكون لباحثين اثنين أو أكثر نفس المفهوم و لكن يختلف تعريفه باختلاف مقصود كل باحث يعني التعريف الاجرائي هو ماذا أقصد بهذا المفهوم في هذا البحث و بدقة من خلال ذكر

كل مؤشرات في التعريف فهو يمثل نشاطا تطبيقيا محضا وهو الاتصال بالواقع فهو يفترض إذا حقيقة تتجاوز مستوى اللغة لتصل مستوى المعرفة . (غراويتس، 1993، الصفحات 38- 43) . وهذا ما يهمله الكثير من الباحثين فيكتفي بتحويل التعريف العام فقط و تحويله إلى تعريف إجرائي .إننا نحكم على التعريفات الاسمية بحسب فائدتها و نحكم على التعريفات الواقعية بحسب حقيقتها .

7. أهمية الملاحظة :

الملاحظة تلك الخطوة التي ترافق الباحث منذ أول خطوة و هي اختيار ظاهرة الدراسة التي قد تكون ملاحظة المحيط مصدرا لها وصولا به معها إلى التحليلات السوسيولوجية لنتائج البحث . حسنا ماذا نقصد هنا بالملاحظة . نحن لا نقصد بالملاحظة هنا كتقنية معتمدة لجمع البيانات وإن كانت استخدامها قليل جدا . هنا أقصد بالملاحظة الاستطلاعية أو ما يطلق عليه فن الملاحظة و هي ملكة يجب أن تتوفر في الباحث الاجتماعي و يجب أن تتميز دون غيره . أن تكون نظرتة لما حوله ليست ك غيره من الأفراد . على الباحث الاجتماعي و خاصة في مجال علم الاجتماع أن تكون لديه دقة الملاحظة تشبه تلك التي يتمتع بها ضابط التحقيق . لا شيء عادي و لا شيء يمر دون تحليل .

كما أن الملاحظة هي عبارة عن تقنية ذهنية أكثر منها خطوة عملية ضمن البحث و هي تبدأ بداية مع بناء الموضوع ف ملاحظة ميدان الدراسة بدقة و بموضوعية تسمح للباحث التعرف على معلومات قد لا توفرها له الكثير من الكتب . و الكثير من الطلبة الباحثين يهملون هذه النقطة المهمة معظم الطلبة لا يزورون مكان الظاهرة المدروسة إلا في وقت الدراسة الميدانية اعتقادا منهم أنه هذا هو الاجراء الصحيح . في مجموعة من النقاط التالية سنحاول تلخيص أهمية زيارة ميدان الدراسة و أهمية الملاحظة معا

1. ملاحظة المحيط تسمح لك باختيار ظاهرة الدراسة .

2. في المرحلة الاستكشافية لابد من استخدام الملاحظة للربط بين ما يتعرف عليه الباحث في القراءات و بين ما يجمعه في الدراسة الاستطلاعية التي و إن كانت تستخدم فيها أدوات جمع البيانات ك المقابلة فلا بد من التركيز على محيط الظاهرة بالملاحظة . التي قم تمنحك من المعلومات مالا تأتيك به الأدوات الاستطلاعية .

3. الملاحظة عنصر مهم جدا في بناء الفرضية و تعتبر أحد أهم مصادر الفرضية قد تأتي بالفرضية من ملاحظة محيط الظاهرة.

4. بناء نموذج التحليل يعتمد بصورة كبيرة جدا على الملاحظة ل استخراج مؤشرات و تعريف المؤشر هو دليل على أنه يعتمد على الملاحظة و المؤشر هو أصغر وحدة يمكن ملاحظتها في الواقع مباشرة .

5. المفاهيم الاجرائية و كما هي مذكورة سابقا يستقي الباحث تعريفها من خلال تجسيد مؤشراتها في بيئة الدراسة لذا ملاحظة المحيط تساهم بصورة كبيرة جدا في تعريف المفاهيم اجرائيا بصورة أكثر دقة .

6. ملاحظة ميدان الدراسة يساعد و بصورة كبيرة جدا في تحليل النتائج المتحصل عليها و تفسيرها سوسيولوجيا بشكل واقعي و دقيق و أكثر شمولية .

إذا لابد على الباحث أن يكون في حالة ملاحظة دائمة و أن يتقن فن الملاحظة حتى يسير في بحثه بشكل سلسل و أكثر دقة . و هذا مالا يحرص الطالب الباحث عليه لا بل يهمله بشكل كبير جدا اعتقادا منه الفصل بين النظري و التطبيقي و بناء الموضوع.

8. البناء النظري:

من الأسبق الفصل الأول التمهيدي المعروف بالاطار المنهجي للدراسة أم الفصول النظرية ؟ و من الأسبق المادة العلمية أم خطة البحث؟ هذه كلها إشكالات يقع فيها الطالب دون أن يدرك أنها كذلك . الطالب في عمومها يسعى لانجاز المذكورة خطوة خطوة كما يراها في النموذج النهائي و منهم من يبدأ بالمقدمة مروراً بالاشكالية والفرضيات و تحديد المفاهيم و الخ ... في حين أن هذا الفصل بالذات هو نتاج و تحصيل حاصل نجمعه أثناء رحلتنا في البحث عن الفصول النظرية المتعلقة بالدراسة فنمر بتحديد المفاهيم و نتصادف مع دراسات سابقة .. إلخ . لأنه بقاء الطالب في هذا الفصل رأساً يأخذ منه وقتاً أكثر مما يستحق في البحث عن كل عنصر منه على حدى إضافة إلى أن بناء الاشكالية في الغالب و في أحسن حال يكون بعد الانتهاء من الجانب النظري لماذا ؟ لأن الطالب في هذه الحالة يكون قد تعمق في القراءات بشكل كبير و اطلع على الكثير من المراجع و الكتب و بالتالي اكتسب ثراء معرفيا و مفاهيميا يسمح له ببناء إشكالية غنية بالمفاهيم و الأفكار و بذلك يمكنه و تحرير الاشكالية دون احتباس فكري و لغوي، و بالتالي و يكون هناك استرسال سهل في بناءها .

و يقع الطالب في الجانب النظري عادة ، في خطئين الخطأ الأول في منهجية و المنطق السليم لاختيار الفصول النظرية أي كيف يختار عناوين الفصول ؟ و الخطأ الثاني كيف نبني خطة هاته الفصول ؟

في كثير من الأحيان لا يدرك الطالب أن الفصول النظرية تبنى رأساً على أساس الفرضيات . بمعنى أنه أثناء اختيار الفصول النظرية يهمل الطالب الفرضيات و الأبعاد التي تظهر فيها و الربط بينها و يكتفي بفصول تتناول المتغيرات الكبرى التي تظهر في العنوان فيختار لكل متغير فصل خاص به منفصل عن الآخر من حيث الطرح . و لكن الصحيح أن الفصول النظرية تُبنى انطلاقاً من الفرضيات و الأبعاد التي تظهر فيها و يجب أن ييسر الموضوع في رؤية تصب وفق ربط تلك المتغيرات في النظري و كأن تلك الفصول هي طرح موسع جداً لتلك الفرضيات بنفس التوجه و الاتجاه و البناء .

نتنقل للنقطة الثانية التي يقع فيها الطلاب و هي أثناء بناء الفصول النظرية يعمل الطالب على إعداد خطة لكل فصل تتكون من مجموعة من العناصر من وحي خياله . ثم يسعى للبحث عن المادة العلمية لعناصر تلك الخطة التي وضعها دون سند علمي . و هنا يضع الباحث الكثير من الوقت في البحث عن عناصر قد لا تكون موجودة أساساً في

أدبيات الدراسة أو الموضوع المدروس . و قد يهمل عناصر مهمة و موجودة و لكنه لم يدرجها لأنه لا يعرفها . الأصل أن الباحث يقوم بجمع المادة العلمية المتعلقة بالفصل أولاً من مختلف المراجع ثم يعمل على إنشاء خطة وفق المادة العلمية الموجودة و ترتيبها و تنظيم عناصرها ضمن خطة تحتوي على عناوين رئيسية و أخرى فرعية و أخرى أكثر تفرعا . و يجتهد الباحث في دمج هاته العناصر بطرق منهجية و معرفية و علمية حتى يُكوّن مادة علمية غير متناقضة و متضاربة من حيث محتواياتها و تضامن عناوينها . و من هنا المادة العلمية أسبق من الخطة .

9. مشكلة وحدة الموضوع :

من الكثير من الأمور التي نراها في المذكرات هي غياب وحدة الموضوع في الطرح سواء النظري أو الميداني و كأن الطالب يدرس كل شيء على حدى كل فصل على حدة دون أن يدمجه ضمن طرح منهجي ضمن ظاهرة واحدة تفسر بعضها بعضا . بمعنى الفصول النظرية أي نعم تحتوي على عناوين المتغيرات الكبرى التي تظهر في العنوان ولكن يكون كل فصل قائم بذاته لا علاقة له بالفصل الذي يليه . الجانب النظري و الجانب الميداني و ما تحتويه من تفاصيل.

10. مجتمع البحث و العينة :

هنا في هذه النقطة بالذات التي تأتي كعمود أساس في البحث العلمي و في بحث التخرج يقع الكثير من الطلبة الباحثين في خلل كبير جدا وهو التعريف بمجتمع البحث، و صادفتنا هذه الملاحظة في الكثير من البحوث التي ناقشناها أو التي أطلعنا عليها . هنا يعمل الباحث على تعريف مجتمع البحث بعموميته . يعني التعريف النمطي الخام للمجتمع البحث منهجيا . و قد يعرج على التعريف بمجتمع بحثه بصورة مختصرة . و لكن فالحقيقة الأمر يحتاج إلى تفصيل دقيق و مضبوط و مبرر . و يتم رأسا اختيار مجتمع البحث عن طريق الإجابة على سؤال : من يمكنه أن يفيدني في بحثي؟ من هم الوحدات المعنوية بالدراسة ؟ و لماذا قلنا وحدات ؟ لأنه ببساطة مجتمع البحث ليس دائما عبارة عن أشخاص . قد يكون عبارة عن كتب ، قد يكون برامج تلفزيونية ؟ قد يكون مقالات ؟ قد يكون قوانين ، قد يكون صور أي حصر شامل لجميع مفردات المجتمع المراد ببحثه (ابراهيم، 2003، صفحة 147) ، مجتمع البحث ليس بالضرورة دائما عبارة عن أشخاص . الشيء الذي يهمله الباحث في هذه النقطة هي : أولا التعريف بمجتمع بحثه و ذكر خصائصه التي جعلت منه مجتمع بحثه المقصود و التبرير لماذا ؟ ذكر نوعه هل هو مجتمع بحث احتمالي أم غير احتمالي ، و إن كان مجتمع البحث احتمالي يجب ذكره عدده و عدد مفرداته بدقة . إضافة إلى تحديده بدقة هل هو متحانس أم غير متحانس، إن كانت الفروقات بين مفردات مجتمع البحث تؤثر على النتائج يجب ذكرها و تصنيفها في جدول . حتى تكون واضحة و دقيقة و معللة .

كما أن اختيار العينة فحالتها حال مجتمع البحث يكتفي الكثير من الباحثين بذكر تعريف العينة في عمومته، و هذا خطأ إن اكتفى الباحث بذلك و فقط ، فيجب على الباحث في عنصر العينة تحديد ثلاث عناصر أساسية و هي كالتالي :

نوع العينة : ذكر نوع العينة بدقة مع تعريف هذا النوع و التعليل لماذا اخترنا هذا النوع دون غيره

حجم العينة : يجب ذكر عدد العينة سواء كانت في مجتمع احتمالي أو غير احتمالي . في المجتمع الاحتمالي الأمر يخضع لقوانين دقيقة يجب أن يعتمد عليها الباحث . و قد تكون المشكلة في مجتمع البحث الغير احتمالي في ضرورة وجود تبرير علمي و منهجي دقيق لحجم العينة المختار لأنه يخضع بصورة ما لتقديرات الباحث الذي يراعي فيها أن تكون تمثيلية لمجتمع البحث فيجب عليه أن يبرر لماذا هذا الحجم دون غيره . و هذا ما لا نجده في لكثير من البحوث و الدراسات .

طريقة الفرز : و في عنصر العينة يغفل الكثير من الباحثين عن ذكر طريقة فرز عناصر وحدات العينة و مفرداتها و كيفية اختيار هاته المفردات دون غيرها في مجتمع البحث .

11. مشكلة بناء نموذج التحليل و اداة جمع البيانات :

أدوات جمع البيانات : كيف يختار الباحث أداة جمع البيانات المناسبة لبحثه؟ . و على أي أساس ؟ الكثير من الطلبة لا يعرفون من أدوات جمع البيانات إلا الاستمارة .و تسعين بالمئة يعتمد الطلبة عليها . في حين أن اختيار أداة البحث يعتمد بشكل كلي على مواصفات و خصائص مجتمع البحث من حيث : العدد، العمر ، المستوى التعليمي . و ليس على هوى الباحث و إرادته .

نموذج التحليل الذي يفكك المتغيرات إلى أبعاد و مؤشرات و تبسيطها و يشمل مراحل كبرى التصور المنمق للمفهوم، تعيين أبعاد ، اختيار المؤشرات الخاضعة للملاحظة (ولازارسفيلد، 1981، صفحة 38). بناءه يكون بطريقتين منهجيتين إما بطريقة استنباطية انتقل فيها من المتغير إلى المؤشر مروراً بالبعد و المكون . أو بطريقة استقرائية أنتقل فيها بطريقة عكسية من المؤشر انتقل صعوداً إلى البعد و المتغير . هذا العنصر المهم جداً في كثير من الأحيان لا نراه في رسائل التخرج مدرج ، و قد نراه في رسائل أخرى و يعتبر ضروري جداً و إلزامياً إدراجه إذا كانت الفرضيات على درجة من التعقيد و تحتاج إلى تبيان و توضيح. و لكنه في كل الحالات يجب أن يكون موجوداً عند الباحث سواء ظهر في البحث كعنصر أم لا . من أين يأتي نموذج التحليل ؟ يأتي إما رأساً من الفرضيات أو ربما عن طريقه تبنى الفرضية كما ذكرنا آنفاً . و هنا تظهر قدرة الباحث على الجمع و التفكيك جمع المؤشرات لخلق أبعاد و جمع الأبعاد لخلق متغيرات أو بالعكس تفكيك المتغيرات لأبعاد و تفكيك الأبعاد إلى مؤشرات . كلما كان الباحث مطلعاً على موضوعه و ملماً به كلما كانت هذه العلمية ممكنة الحدوث و سهلة . و هذا لكي يكون الباحث الميداني واضحاً في استقراء واقع موضوع بحثه ، و تحديد ملامحه من أجل توضيح أبعاد صورته المجتمعية التي تختلف اختلافاً جوهرياً عن متغيرات البحث . (العمر، 2004، صفحة 51).

عن طريق هذا الأخير نقوم ببناء أداة أو أدوات جمع البيانات . كيف ذلك ؟ عن طريق المؤشرات يتحول كل مؤشر إلى سؤال في إستمارة أو في مقابلة أو تحليل محتوى أو ملاحظة على حسب الأداة أو الأدوات المعتمدة . و الكثير من

الطلبة يهتمون هذا الجانب الذي لا يكتمل البحث بدونه لذا نجد مثلاً في نموذج الاستمارة باعتبارها الأداة الأكثر استخداماً من طرف طلبة علم الاجتماع في البحوث الميدانية الكثير من الأسئلة التي لا معنى و لا طائل منها و ليس لها أي علاقة بأي فرضية لأنها صيغت بطريقة عشوائية ارتجالية . و يهمل الباحث ضرورة بناء أداة أو دوات جمع البيانات إنطلاقاً من هذا النموذج الذي كل مؤشر فيه يتحول إلى سؤال ضمن أداة البحث .

12. تحليل النتائج :

تحليل النتائج هذه الجزئية في مذكرة التخرج التي تعتمد بصورة كبيرة جداً على قدرة الباحث و مدى تمكنه من و قدرته على إيجاد الروابط الأساسية التي قام بعرضها عن طريق الجداول . أو بتفسيرها كلها مع بعضها مجتمع ليخرج بالاستنتاج مجمل و حوصلة بحثية او التي يتم على مرحلتين :

المرحلة الأولى : و هي أثناء تحليل الجداول المتعلقة بالفرضيات و تحديداً في القراءة السوسولوجية التي تعمل على استنتاج الأرقام و النسب و التبرير سوسولوجياً لماذا جاءت النسب بهذا التوزيع و قبلها في منطق بناء هذه الجداول و الربط بين مؤشرات الدراسة لتظهر لنا نتائجاً تخدم سياق البحث . الخلل الذي يقع فيه الباحث هو نعم قام بتحليل النتائج و لكن في كثير من الأحيان يكون هذا التحليل بعيداً كل البعد عن توجه الفرضية و اتجاهها العام . و يشرق و يغرب كما يشاء دون أن يحترم وحدة الموضوع و البحث و الفرضية .

المرحلة الثانية : أثناء مناقشة الفرضية و الاستنتاج العام . و مناقشة الفرضيات في ضوء الجداول و المؤشرات و الأرقام و النسب و التحليلات التي يقوم بها الباحث أثناء عرض نتائج دراسته الميدانية فيقع الباحث في نفس ما وقع فيه أثناء قراءته للجداول قراءة سوسولوجية و تفسير ما هو اجتماعي بما هو اجتماعي ضمن سياق طرحه للموضوع دون الخروج عنه أو ما يعرف بوحدة الموضوع . و يغفل أن يقارن النتائج التي توصل إليها بالنتائج المتحصل عليها في الدراسات السابقة . فالكثير من الباحثين لا تعني له الدراسات السابقة سوى عنصر يظهر في الإطار المنهجي للدراسة ثم يتم إهماله باقي البحث دون ذكر أو الرجوع إليه أو مقارنة نتائجه ببعضها البعض .

13. تكنولوجيا الكتابة :

و أخيراً مما يضيف أو ينقص من جودة العمل و بصورة كبيرة جداً هو جهل الباحث ببرامج الكتابة مثل word والاستعانة بأشخاص آخرين لكتابة متون بحثه عند من هو متخصص في ذلك ، و الذي يتسبب له في العديد من المشاكل أولها أنه يجب عليه تحرير المتون بيده في أوراق و بشكل صحيح و دقيق حتى يقوم الراقن بكتابتها . و لو أقرن الباحث فنون الكتابة الإلكترونية لكان الأمر أسهل من ذلك عن طريق بناء خطة و الكتابة مباشرة على الكمبيوتر ثم تبدأ عملية التنقيح و الزيادة و التعديل بشكل مباشر . ثانياً غالب الأمر أن الكاتب سيعمل على رسم المتون التي قُدمت له و لن يقرأها و قد يقع في الكثير من الأخطاء . و في هذه الحالة يجب على صاحب البحث إعادة قراءة العمل كلمة كلمة جملة جملة و يعمل على تصحيحها لأنه لا يجوز تقديمها للمناقشة دون مراجعة . و هذا يعني جهد

مضاعف . لذا نرى بأنه أمر ضروري جدا أن يعمل الباحث على كتابة بحثه بنفسه لأنه حتى أثناء الكتابة تأتي للباحث أفكار و تصحيحها و تحليلات تزيد من جودة البحث .

خاتمة :

و أخيرا يمكننا القول أن خطوات البحث العلمي التي تترجم اصطلاحيا إلى مفهوم المنهجية يعتبر الموضوع الكابوس بالنسبة للطلبة المقبلين على بحوث التخرج . و هذا الوصف و هذا التمثل للطلبة عن هذا المقياس ناتج عن عوامل بيداغوجية منها ما يتعلق بالمنهاج و نظام LMD و منها ما يتعلق بالأستاذ و طريقة تناوله للمقياس و منها ما يتعلق بالطالب نفسه. لذا في نهاية هذا المقال يمكننا القول بأنه يجب أن يدرس هذا المقياس بطريقة تطبيقية خاصة في السنوات المتقدمة حتى يتسنى للطالب الإمام بهذا المقياس. و يسهل عليه تطبيق خطواته بطريقة سهلة سلسلة على ظاهرته التي تعتبر موضوع بحثه .

قائمة المراجع :

- بودون ولازارسفيد. (1981). *موسوعة مناهج علم الاجتماع*. (01، المحرر، و فؤاد شاهين، المترجمون) بيروت لبنان : دار الحقيقة .
- ريمون كيفي لوك فان كمبنهود. (1997). *دليل الباحث في العلوم الاجتماعية*. (01، المحرر) صيدا بيروت، صيدا بيروت : المكتبة العصرية.
- مادلين غراويتس. (1993). *مناهج العلوم الاجتماعية العلم و العلوم*. (01، المحرر، و سام عمار، المترجمون) دمشق سوريا : المركز العربي للتعريب و الترجمة و التأليف و النشر .
- معن خليل العمر. (2004). *مناهج البحث في علم الاجتماع*. (02، المحرر) عمان الأردن : دار الشروق .
- موريس أنجريس. (2006). *منهجية البحث العلمي في العلوم الانسانية*. (02، المحرر) الجزائر : دار القصبة للنشر .
- ناجي بدر ابراهيم. (2003). *الأساليب الكمية في علم الاجتماع* . (بدون طبعة، المحرر) الاسكندرية مصر : دار المعرفة الجامعية للطبع و النشر و التوزيع .